

أضواء البيان

@ 6 @ يريد تهديدهم بذلك بقوله : { وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهُمْ } إلى غير ذلك من الآيات . .

وقد هدد تعالى أهل القرى بأن يأتيهم عذابه ليلاً في حالة النوم ، أو ضحى في حالة اللعب ، في قوله تعالى : { أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ } وَأَوْ أَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ } . وهدد أمثالهم من الذين مكروا السيئات بقوله تعالى : { أَفَأَمِّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ } وَأَوْ يَأْتِيَهُمْ فِي تَقْلَابِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ } وَأَوْ يَأْتِيَهُمْ عَالِي تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ } . .

قوله تعالى : { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا } إِنَّنَا كُنَّا ظَالِمِينَ } . .

وبين تعالى في هذه الآية الكريمة أن تلك القرى الكثيرة التي أهلكتها في حال البيات ، أو في حال القيلولة ، لم يكن لهم من الدعوى إلا اعترافهم بأنهم كانوا ظالمين . . وأوضح هذا المعنى في قوله : { وَكَمُومٌ قَصْمَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً } وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ فَلَمَّا آوَسَّوْا بَأْسُنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ } لَا تَرْكُضُوا } وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتِرْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لِاعْلَاكُمْ } تُسْأَلُونَ } قَالُوا } يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } فَمَا زَالَت تِلْكَ تِلْكَ } دَعْوَاهُمْ } حَتَّى جَعَلْنَا لَهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ } . .

قال ابن جرير رحمه الله في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم) حدثنا بذلك ابن حميد . حدثنا جرير عن أبي سنان عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال : قال عبد الله بن مسعود : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم) قال : قلت لعبد الله كيف يكون ذلك ؟ قال : فقرأ هذه الآية { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا } إِنَّنَا كُنَّا ظَالِمِينَ } . .

قوله تعالى : { فَلَا تَسْأَلنَّ السَّادِينَ } السَّادِينَ } أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ } وَلَا تَسْأَلنَّ

الْمُرْسَلِينَ { . .

لم يبين هنا الشيء المسؤول عنه المرسلون ، ولا الشيء المسؤول عنه الذين أرسل إليهم . .
وبين في مواضع آخر أنه يسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم ، ويسأل الأمم عما أجابوا
به رسلهم . .

قال في الأول : { يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِيبْتُمْ ° }

.